مفهوم الإلحاد واتجاهاته المعاصرة

د. ندى بنت حمزة بن عبده خياط

قسم العقيدة – جامعة طيبة – المملكة العربية السعودية

المُلخَص

تهدف هذه الدراسة الموسومة بـ(مفهوم الإلحاد واتجاهاته المعاصرة) إلى بيان مفهوم الإلحاد في اللغة العربية والقرآن الكريم، وفي معاجم الفكر المعاصرة، وتبين الدراسة قدم الظاهرة الإلحادية في التاريخ الإنساني، وانتشارها في العصر الحديث بشكل كبير ولافت.

وتسلط الدراسة الضوء على بيان صور الإلحاد المعاصر وذكر أبرز تجلياته، مع بيان أهم الفلاسفة الرواد لكل نوع من هذه الأنواع.

وتبين الدراسة معنى الالحاد الجديد الذي هو ظاهرة لها جاذبيتها الخاصة، وأن رموزه الجدد ظهروا لا كعلماء ومثقفين فقط ، وإنما كنجوم مؤثرة إعلامياً ، فهو ظاهرة مختلفة عن الظواهر الإلحادية الأخرى ، كما عرض البحث أهم سمات وخصائص أصحاب هذا النوع الجديد من الإلحاد.

ومن أبرز نتائج الدراسة: أن الإلحاد هو عدم الإيمان بوجود الخالق وكماله، وتنسدل من مفهوم مصطلح الإلحاد مجموعة من النظريات والاتجاهات الإلحادية الحديثة والتي منها: الإتجاه الربوبي والإتجاه الشكي والإتجاه الماركسي والإتجاه الإنساني والإتجاه البرجماتي والإلحاد الجديد.

ومن أهم توصيات الدراسة: أن تولي البحوث العقدية الأكاديمية في أقسام الدراسات الاسلامية اهتماما بالغاً بدراسة الواقع المعاصر وما يطرح فيه من نوازل وشبهات فكرية إلى جانب الاهتمام بالأبحاث المتعلقة بالتراث، خصوصاً في الجانب المتعلق بدراسة الأفكار الإلحادية التي غالباً ما تصاغ بقوالب جديدة مغرية وجذابة.

الكلمات المفتاحية: الإلحاد–تيارات الإلحاد– الإلحاد الجديد – الإلحاد المعاصر– أنواع الإلحاد.

مُقَدِمَةُ :

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على النبي الكريم الذي أُرسل رحمة للعالمين، هاديًا وبشيرًا ونذيرًا، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن الكتابة في (مفهوم الإلحاد) أمر بالغ الأهمية؛ لتعلقه بأهم ملف يُطرح على بساط الدرس العقدي المعاصر، فهو بحث يتعلق بأخطر أمر قد يؤثر في عقيدة المؤمن، ويقضي على أجلِّ مكوِّن من مكوناته الإنسانية، ومتطلباته الروحية.

فالإلحاد ذاك السراب الفكري –بأدق توصيف له–، الذي هو حالة طارئة على البشرية جمعاء، يحاول أن يوجد لنفسه مكاناً أمام العقائد، وبديلاً عن قضية الإيمان بالله، في محاولات وصولات معاصرة، وثوب جديد يجترّ أفكار الإلحاد القديم، ويلوك نفس شبهاته.

وعلى الرغم من أن قضية الإيمان بوجود الله هي قضية متجذرة في الكيان الإنساني، وأن هذا الموقف هو الموقف الأكثر موافقة مع طبيعة الإنسان، وهو ما يبعث في نفسه الطمأنينة والسكينة والانشراح، فبغير الإيمان بالله لا يكون لحياة الإنسان معنًى، ولا لوجوده هدف.

وبالرغم من وضوح هذه القضية وبداهتها وتعمّق وجودها في كل المجتمعات الإنسانية عبر تاريخ البشرية الطويل، فإن هناك من جحدها وتنكر لها بسبب مسلَّمات فكرية زائفة خلَّفتها عوامل عاطفية انفعالية غير مبنية على قوانين العقل، وغير ملتزمة بمبادئه المنطقية.

وقد سلك أهل الإلحاد طرائق قددًا؛ فمنهم من آمن بوجود إله وأنكر النبوة وإرسال الرسالات وكفر بها، ومنهم من كان موقفه متردداً بين الإيمان بوجود الله والإنكار والجحود مدعيًا عدم كفاية الأدلة في الإثبات، ومنهم من جزم بعدم وجود الله على سبيل الحتم والإغلاق، وأثار جميعهم ركاماً من الشكوك والاعتراضات على قضية وجوده –سبحانه–.

وهناك من يرى أن الأديان خرافة وأساطير، وآخرون يرون أنها تعبير عن فشل الإنسان في فهم الوجود، وآخرون يرون أن الأديان مناقضة للعلم والعقل، وآخرون يرون استغناء الإنسان بالعلم التجريبي بديلاً عن فكرة وجود الله، فالإنسان وحده الموجود الأعظم.

وظهر من بين كل تلك الأطياف تيار جديد ناقم على جميع الأديان ومحارب لأصحابها، ويدعو للقضاء عليهم؛ معللاً ذلك بأن الأديان هي سبب الشرور في هذا العالم.

وسبب اختيار هذه العنوان للبحث والكتابة: هو تسليط الضوء على كل تلك المسالك الإلحادية، والاقتراب منها بمجهر البحث والتنقيب، ومحاولة تقديم مادة علمية مناسبة للمهتمين بمعرفة وتحرير مفهوم الإلحاد، ومعرفة أهم اتجاهاته وشخصياته المعاصرة، وتشكيل تصور ذهني مجمل لأهم ملامح الإلحاد عموماً، والجديد منه خاصة، ولا يخلو البحث من مواطن نقد لها.

وتتجلى أهمية الكتابة في مثل هذا الموضوع بصفته: محاولة –متواضعة– لاستحثاث همم الباحثين لتقديم بحوث جديدة في الساحة العقدية لدراسة الظاهرة الإلحادية المعاصرة ونقدها، وحفز المهتمين والمختصين بالشأن العقدي لإعداد دراسات مكثفة تكشف عن مواطن الخلل، وتكمل النقص، وتقدم معالجات شرعية أعمق في دراسة شبهات الملاحدة، خصوصاً التيار الجديد منهم، وهدم ما اتكأ عليه أهله من دعائم ونظريات يزعمون أنها علمية.

وليس غرض البحث هنا تتبع كل تفاصيل الظاهرة الإلحادية ونقدها، فهذا أمر غير ممكن في مثل هذه البحوث المقتصرة على دراسة مفاهيم جزئية في عدد محدود من الأوراق.

ومنهج الدراسة هو: اتباع المنهج الوصفي والتحليلي الذي يقوم على رصد واقع التيارات الإلحادية وتوصيفها، ولا يخلو البحث من نقد لها.

وجاءت إجراءات الدراسة على النحو الآتي:

- جمع المادة العلمية المتعلقة بالبحث مما له صلة بمفهوم الإلحاد وأهم اتجاهاته وتياراته.
- تقسيم المباحث بما يكوّن تصورًا مناسبًا لأبرز تيارات الإلحاد القديم والمعاصر.
- عزو الآيات القرآنية التي وردت في البحث إلى مواطنها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

–عزو الأقوال إلى قائليها، مع التوثيق من المصادر المعتمدة.

خطة هذه الدراسة:

رسمتُ لبحثي خطة مكونة من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس:

- **فالمقدمة:** جعلتها مدخلًا إلى موضوع البحث.
- **أما المبحث الأول:** خصصته لبيان مفهوم الإلحاد، ومعناه في المعاجم العربية والأعجمية.
- **وأما المبحث الثاني:** فخصصته لبيان أهم الاتجاهات والتيارات الإلحادية المعاصرة.
- **والمبحث الثالث:** ذكرت فيه معنى الإلحاد الجديد، وأبرز ملامحه وسماته.
- **ثم الخاتمة:** وضمنتها أبرز نتائج البحث وتوصياته.
- **ثم ذيَّلتُه بقائمة للمراجع .**

واللهَ أسأل الهدى والسداد، والمغفرة للخطأ والزلل؛ إنه أكرم من سُئل وأعظم من أعطى.

المبحث الأول:

مفهوم الإلحاد، ومعناه في المعاجم العربية والأعجمية

ورد مصطلح الإلحاد في معاجم اللغة العربية بمعنى: الميل والعدول عن الطريق القويم.

قال الزجاج: "الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد" (الأزهري، ١٤٢١هـ).

وقال ابن فارس في بيان معنى الإلحاد: "أصلٌ يدل على ميل عن الاستقامة، يُقال: ألحد الرجل، إذا مال عن طريق الحق والقرآن" (ابن فارس، ١٩٨٩م).

وجاء في لسان العرب: "ولحد في الدين يلحد وألحد: مال وعدل" (ابن منظور، ٢٠٠٣م).

وورد لفظ الإلحاد في القرآن الكريم بمعنى العدول عن الاستقامة والانحراف بها عن الجادة في عدة مواضع:

الموضع الأول: عند قوله -تعالى-: ﴿ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]. وذكر الإمام الطبري في تفسيره: "أنه يعني به المشركين، وكان إلحادهم في أسماء الله أنهم عدلوا بها عما هي عليه، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فسَموا بعضها (اللات) اشتقاقًا منهم لها من اسم الله الذي هو (الله)، وسموا بعضها (العُزَّى) اشتقاقًا لها من اسم الله الذي هو (العزيز)" (الطبري، ١٤٢٢هـ).

ورُوى عن ابن عباس وقتادة أن الإلحاد: هو التكذيب والشرك، وقوله: (يلحدون) أي يشركون، ثم قال: "وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد، والجور عنه، والإعراض. ثم يُستعمل في كل معوجٍّ غير مستقيم، ولذلك قيل للَحْد القبر: لحداً؛ لأنه في ناحية منه، وليس في وسطه" (الطبري، ١٤٢٢هـ).

الموضع الثاني: عند قوله -تعالى-: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ﴾ [سورة النحل: ١٠٣].

وذكر الإمام الطبري في تفسيره اختلاف القراء في قراءة قوله: (يُلحدون) -بضم الياء-، بمعنى: يعترضون ، ويعدلون إليه، ويعرجون إليه.

و(يَلحدون) -بفتح الياء-، يعني: يميلون إليه، من لحَد فلان إلى هذا الأمر يلحد لحدًا ولحودًا، وهما عندي لغتان بمعنًى واحد" (الطبري، ١٤٢٢هـ).

الموضع الثالث: عند قوله -تعالى-: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ ﴾ [سورة الحج :٢٥] وذكر الإمام الطبري -رحمه الله- في تفسيره اختلاف المفسرين في معنى الظلم -الذي من أراد الإلحاد به في المسجد الحرام؛ أذاقه الله من العذاب الأليم-: "فقال بعضهم: ذلك هو الشرك بالله وعبادة غيره به ... وقال آخرون: هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه ... وذكر قول ابن عباس: يعني أن تستحل من الحرام ما حرم الله عليك من لسان أو قتل، فتظلم من لا يظلمك، وتقتل من لا يقتلك، فإذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم ... وقال آخرون: بل ذلك احتكار الطعام بمكة ... إلى أن قال: فتأويل الكلام: ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم، فيعصي الله فيه، نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له"(الطبري، ١٤٢٢هـ).

الموضع الرابع: عند قوله -تعالى-: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا ﴾ [سورة فصلت:٤٠].

قال الإمام الطبري: "يعني -جل ثناؤه- بقوله:

﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ ﴾: إن الذين يميلون عن الحق في حججنا وأدلتنا ، ويعدلون عنها تكذيبًا بها وجحودًا لها" (الطبري، ١٤٢٢هـ).

وذكر اختلاف أهل التأويل في المراد به من معنى الإلحاد في هذا الموضع، وذكر قول بعضهم إنه: أريد به معارضة المشركين القرآن باللغط والصفير استهزاءً به. وقال قتادة: يكذبون في آياتنا.

وقال آخرون: أريد به يعاندون. وقال آخرون: أريد به الكفر والشرك، إلى أن قال -رحمه الله-: "وكل هذه الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك قريبات المعاني، وذلك أن اللحد والإلحاد: هو الميل ، وقد يكون ميلًا عن آيات الله، وعدولًا عنها بالتكذيب بها، ويكون بالاستهزاء مكاءً وتصدية، ويكون مفارقة لها وعنادًا، ويكون تحريفًا لها وتغييرًا لمعانيها" (الطبري، ١٤٢٢هـ).

ومن هذا البيان السابق نجد أن مصطلح الإلحاد في القرآن الكريم يعبر عن مجموعة انحرافات عظيمة (الإلحاد في أسماء الله، الكفر والشرك والتكذيب، الاعتراض والميل، الاستهزاء ، استحلال الحرام، احتكار الطعام، معصية الله، معارضة القرآن الكريم)، وجميع هذه المخالفات الكبيرة يجمعها الميل عن طريق الاستقامة التي رسم القرآن الكريم معالمها وحددها الشارع الحكيم.

ولو بحثنا عن معنى الإلحاد في معاجم المصطلحات الفلسفية المعاصرة لوجدنا أن مفردة الإلحاد قد وردت في الموسوعة الفلسفية لعبد الرحمن بدوي، وذكر أن هذه المفردة (إلحاد) في اللغات الأوروبية مأخوذة من اليونانية، ومعناها الاشتقاقي: نفي وجود الإله. أما في العربية فكلمة ألحد عن = انحرف عن. ومن هنا فليس ثمة تطابق بين اللفظ الأوروبي واللفظ العربي (بدوي، ١٩٨٤م؛ زهبه، ٢٠٠٧م).

فدلالة مفردة (الإلحاد) في اللغة الإنجليزية والفرنسية -نظرًا لاشتقاقها من اللغة اليونانية- مختلف عن دلالتها في اللغة العربية.

وقد عُرّف (الإلحاد) في المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية بأنه: "مذهبُ من ينكرون الألوهية، والملحد غير مؤلِّه، وهذا معنًى شائع في الفكر الإنساني، ويتضمن رفض أدلة المفكرين على وجود الله"(مجمع اللغة، ١٤٠٢هـ).

وجاء في المعجم الفلسفي لعبد المنعم حنفي أن معنى (الإلحاد): هو "الكفر بالله"، والملحد Atheist : هو الذي يحكم على عبارة (الله موجود) بأنها قضية كاذبة"(حنفي، ٢٠٠٠م).

ويقول جميل صليبا: "والإلحاد -في اصطلاحنا-: هو إنكار وجود الله، ولكن الناس يطلقون هذا اللفظ تارة على إنكار وجود الله، وتارة على إنكار علمه، وعنايته، أو قدرته، وإرادته، ويكفي أن ينكر المرء أصلاً من أصول الدين، أو اعتقاداً من الاعتقادات المألوفة، أو رأياً من الآراء الشائعة؛ حتى يُتهم بالإلحاد" (صليبا، ١٩٩٤م).

وجاء في بيان معنى المصطلح "Atheisme إلحاد" في موسوعة لالاند الفلسفية: "عقيدة قوامها إنكار وجود الله"(لالاند، ٢٠٠٣م)، وينقل صاحب الموسوعة عن فرانك قوله: "ما من تهمة كانت أكثر تداولاً من تهمة الإلحاد؛ ففي الماضي كان يكفي المرءَ حتى يُتهم بهذه التهمة، ألا يشاطر الآراء السائدة، والمعتقدات الرسمية في عصر ما، مهما تكن فاحشة، وحتى فاسقة"(لالاند، ٢٠٠٣م).

وجاء في معجم إكسفورد الفلسفي: "الإلحادية في ظاهرها تعليم يقرّ عدم وجود الله. ثمة ملاحدة يدعمون هذا الزعم بالبراهين. بيد أن براهينهم عادة ما تكون موجهة ضد المفهوم المسيحي لله، وتكاد لا تتعلق بأية آلهة ممكنة أخرى"(هوندرتش، ٢٠٠٣م).

وجاء تعريف "المذهب الإلحادي Atheism" في الموسوعة الفلسفية -من وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين- أنه: "نسق من الآراء التي ترفض الاعتقاد بما يتجاوز الطبيعة (الأرواح والآلهة والحياة بعد الموت، إلخ)" (روزنتال، ٢٠٠٦).

من خلال التعريفات السابقة نجد أن لمفهوم (الإلحاد) معاني متقاربة، منها: "إنكار وجود الله، أو الكفر بالله، أو إنكار الألوهية، أو إنكار عنايته أو قدرته أو إرادته -سبحانه وتعالى-، أو مخالفة الآراء السائدة، والمعتقدات الرسمية، أو عدم الإيمان بوجود الإله، أو رفض الإيمان بما هو متجاوز للطبيعة". والذي يجمع هذه المعاني: هو عدم الإيمان بوجود الخالق وكماله، وتنسدل من مفهوم مصطلح الإلحاد مجموعة من النظريات والاتجاهات الإلحادية التي ستتضح في المبحث الثاني.

المبحث الثاني:

أهم الاتجاهات والتيارات الإلحادية المعاصرة

إن الظاهرة الإلحادية في التاريخ ظاهرة قديمة، فمن أشهر وأقدم من ادعى الإلحاد فرعون، فقد تظاهر "بإنكار الصانع فرعونُ، وقد كان مستيقناً به في الباطن؛ كما قال له موسى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ مَثْبُورًا ﴾ [سورة الإسراء: ١٠٢]، وقال -تعالى- عنه وعن قومه: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن ﴾ [سورة النمل: ١٤]" (ابن تيمية، ١٤٠١هـ).

وقد بدأت بذور الفكر الإلحادي وقضية التنكر لوجود الخالق وجحوده؛ في مرحلة تاريخية مبكرة من تاريخ البشرية، "مع الجماعة الدهرية الذين عطلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا -ما حكاه الله عنهم: ﴿ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا ﴾ [سورة الجاثية: ٢٤] (ابن القيم، ١٣٩٥هـ).

وقال الشهرستاني صاحب كتاب (الملل والنحل) -ت ٥٤٨هـ- عنهم: "أما تعطيل العالم عن الصانع العليم،

القادر الحكيم، فلست أراها مقالة، ولا عرفت عليها صاحب مقالة، إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية أنهم قالوا: كان العالم في الأزل أجزاءً مبثوثة، تتحرك على غير استقامة، فاصطكَّت اتفاقاً؛ فحصل العالم بشكله الذي تراه عليه، ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر وجود الصانع؛ بل هو يعترف بالصانع، لكنه يحيل سبب وجود العالم على البحث والاتفاق؛ احترازاً عن التعليل" (الشهرستاني، ١٩٤٣م).

وقد كان الإلحاد يمثل حالة نشازًا في تاريخ الأفكار والأديان في كل مراحل التاريخ البشري القديم، إلى أن ساد وانتشر في عالم الأفكار الغربي، وتضخم حجمه في القرون الحديثة، وخاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين.

ولم تكن الظاهرة الإلحادية بتياراتها المتعددة ونظرياتها المختلفة حالة طارئة أو مفاجئة في العالم الغربي، وإنما تشكلت معالمها وامتدت تاريخاً طويلاً بعد ممهدات عدة وتحولات فكرية، وعلى مدار قرون من الزمان، وبدأت هذه الاتجاهات الملحدة في التبلور والنضوج منذ أن استشرى فساد الدين الكنسي، وزاد انحراف رجالاته في القرون الوسطى، وزادت قوة الاتجاه العقلي وممارسة النقد الديني للكتاب المقدس، وقدمت دراسات موسعة تم فيها كشف وبيان لتزوير الكتاب المقدس المسيحي، وتحريفاته المتتالية، ومخالفاته للعلم، وتناقضاته، وتغييبه لدور العقل، وانكشف للناس انقطاع سنده التاريخي، وفقده؛ فلم يعد عند أكثرهم كتاباً مقدساً كما كان، مما شكل ثورة شاملة في العقل الغربي عند رجالات الفكر وفلاسفته بضرورة الانفصال عن الكنيسة والتمرد على هذه المنظومة الدينية بأكملها، التي ما عادت تشبع الروح ولا العقل، ودخل الكتاب المقدس متحف التاريخ من أوسع أبوابه.

وسنعرض في هذا المطلب بعض تلك التيارات الإلحادية الحديثة، وحتى لا يطول البحث ستقتصر الدراسة هنا على بيان أهم التيارات والاتجاهات الملحدة، وأكثرها حضوراً وتأثيراً وانتشاراً في الفكر الغربي:

أولاً: الدين الربوبي:

هذا النوع من الإلحاد هو أخف أنواع الإلحاد وأقلها جهلاً، جاء في الموسوعة الفلسفية: "الربوبية كانت غالباً ما تتخذ شكلاً زائفاً من المذهب الإلحادي" (روزنتال، ٢٠٠٦م). وامتدت جذور هذا التيار مع الفلسفة اليونانية القديمة؛ لا سيما مع أساطينها سقراط وأفلاطون وأرسطو؛ ففي فلسفتهم ما يشير إلى معنى الدين الطبيعي، فالله عندهم هو (العلة، الروح، المحرك الأول، ونحو ذلك)، بمعنى أنه لا يتدخل في خلقه ولا يتصل معهم بعنايته؛ لأن العقل الإغريقي لا يقبل الإيمان بالكتب والأديان المنزلة. ويسمى هذا النوع من الإلحاد بالدين الطبيعي والدين التأليهي، وأصحابه يؤمنون بوجود خالق للكون ولكنه إله لا يتدخل في الكون بعد أن خلقه (روزنتال، ٢٠٠٦م) (لالاند، ٢٠٠٣م)، ويشتركون مع أهل الإلحاد في إنكار الوحي، وعدم الإيمان بالكتب السماوية والأديان المنزلة، وإنكار البعث والحساب (الحنفي، ٢٠٠٠م).

وظهر هذا التيار (الدين الربوبي) في العالم الغربي منذ نهايات القرن السابع عشر الميلادي واشتد عوده وازدهر ازدهاراً كبيراً في عصر التنوير في القرن الثامن عشر (عوض، ١٩٩٧م)، عندما تبنى فلاسفة التنوير مقولة "الدين الطبيعي" نتيجة تبنيهم لمفهوم (الطبيعة) كمقولة مركزية لأطروحات عصر التنوير، فالتجربة الطبيعية حلّت محل اللاهوت المسيحي، وظهرت مقولات الأخلاق الطبيعية والفلسفة الطبيعية والإنسان الطبيعي ونحوها (سترومبرج، ١٩٩٤م).

ومن أشهر فلاسفة الدين الربوبي:

- توماس بين (١٧٣٧-١٨٠٩م) : الذي كان من أشهر الفلاسفة الإنجليز المدافعين عن حقوق الإنسان في القرن الثامن عشر، وكان عداؤه للمسيحية شديد الوضوح والضراوة معاً، وارتبط اسمه بالمذهب التأليهي الذي ذاع وانتشر في هذا القرن(عوض، ١٩٩٧م) ، وألَّف كتاباً يعبر فيه عن الدين الربوبي الذي اعتنقه ودعا إليه وسماه بـ (عصر العقل)، وأحدث دويًّا ضخماً في الوسط الفكري الغربي وعند أتباع الدين الربوبي، حتى أسماه بعضهم بـ (إنجيل الملحدين) (داونز، ١٩٧٧م).

ومما جاء في الكتاب: أنه "في جميع الأديان التي تم اختراعها لا يوجد دين أشد إهانة لله القدير ومدعاة لجهل الإنسان وأكثر عداوة للعقل وتناقضاً مع ذاته من ذلك الشيء المسمى بالمسيحية" (عوض، ١٩٩٧م).

- جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨م): فيلسوف فرنسي يعد من أكثر رجال التنوير تأثيراً في الفكر الغربي، ودعا إلى الإيمان بالله وإنكار الوحي، وذهب إلى أن الأفكار الأخلاقية فطرية (روزنتال، ٢٠٠٦م).

وألف كتاباً أسماه (دين الفطرة)، وهو بيان لطريقة عبادة الله بحسب ما يمليه الضمير الإنساني ، ومن غير الاعتماد على أي مصدر آخر، ومما ذكره في الكتاب: "ما يطلبه منّا الخالق، هو أن نعبده بالقلب" (روسو، ٢٠١٢م)، بلا طقوس أو عبادات منزلة بالوحي.

- **فولتير (١٦٩٤-١٧٧٨م)**: كاتب ومؤرخ، وهو أحد زعماء حركة التنوير الفرنسي، ومن أشهر دعاة الدين الربوبي المتحمسين (روزنتال، ٢٠٠٦م). وقد نقد فولتير الأديان المنزلة وحاربها ، وحارب أيضاً معها معاداة الأديان، وألّف في الرد على الملاحدة المنكرين لوجود الخالق (كولينز، ١٩٩٨م)، وكان يرى أن المؤمن الوحيد الذي يجب أن نعترف به هو المؤمن بالله ، والمنكر للوحي ، وأن الإنجيل الوحيد الذي يجب أن نقرأه هو كتاب الطبيعة الكبير (راندال، ١٩٦٥م)، وكان يريد أن يرى آخر ملك مشنوقاً بأمعاء آخر قس (راندال، ١٩٦٥م). وهذه العبارة تدلنا على اختناق أوروبا من الكنيسة والملوك، ومعاناتها الشديدة من هذه الثنائية الجائرة التي طالما بخست الناس أبسط حقوقهم البشرية.

ونجد أن فولتير مع ترديده لمثل هذه العبارة التي صارت شعاراً لكل من أتى بعده، كان موقفه مضطرباً في الموقف من الإيمان، فهو يقول: "إن الاعتقاد القاطع بعدم وجود إله خطأ أخلاقي مروّع، خطأ لا يتمشى مع أية حكومة تتسم بالعقل والحكمة .. وإنه من الأفضل بكثير من الناحية الأخلاقية أن نؤمن بوجود إله من عدم الإيمان بوجوده، فلو لم يكن الله موجوداً لتعين اختراعه"(عوض، ١٩٩٧م).

ثانيًا: المذهب الشكّي (الارتيابي):

وهو الإلحاد المتردد الذي لا يجزم بوجود الله ولا يجزم بعدم وجوده، ويرى أن الأدلة تتكافأ في هذه القضية، فالعقل والخبرة البشرية لا يمكنها الوصول إلى حسم في هذه القضية، فيقف أتباع هذا الاتجاه عاجزين عن إقامة الأدلة على وجود الله، وفي الوقت نفسه عاجزين عن إقامة الأدلة على نفيه.

ومن أشهر فلاسفة المذهب الشكيّ:

- **ديفيد هيوم (١٧١١-١٧٧٦م)**: مفكر أسكتلندي من أشهر فلاسفة التجريب المنظرين للمنهج الشكي، وكان خصماً لدوداً للأديان نتيجة لمنهجه الذي تبناه، وألف كتاباً سماه (التاريخ الطبيعي للدين)،

وبيَّن فيه أن الأصل في الديانة الشرك وليس التوحيد (كولينز، ١٩٩٨م)، ويرى أن فكرة (الله) وأنه العلة الوحيدة للحوادث هي مجرد حكاية خرافية (كولينز، ١٩٩٨م)، ويرفض أي أدلة أو براهين تدل على وجود الله، فما الدين عنده إلا أسباب نفسية وعاطفية لدى المتدين (كولينز، ١٩٩٨م).

ومن أهم كتبه (محاورات عن الدين الطبيعي) الذي أوصى بنشره بعد وفاته، وانتهى فيه إلى إبطال كل الحجج التي قيلت للبرهنة على وجود الله، ومع ذلك فكان في كتابه هذا يرى أنه لا مانع من احتمال أن يكون هناك إله، ويقرر في نفس الوقت أن هذا الاحتمال نفسه ليس من نوع الاحتمال العلمي (بدوي، ١٩٨٤م).

- **داروين (١٨٠٩-١٨٨٣م)**: عالم بيولوجي صاحب مذهب التطور، يعد من أهم فلاسفة الإلحاد والشك في عصر التنوير، و "الحق أنه لم يخلُ عصر من العصور من متشككة في المسيحية، على أن هؤلاء كانوا أُناساً غير عاديين، أما الآن -أي: بعد نظرية داروين- فقد أصبحت كل المسيحية بوجه الإجمال متشككة" (ويلز، ١٩٦٧م).

وهو صاحب كتاب (أصل الأنواع) الذي أصبح مرتكزاً لأهم نظريات الإلحاد الحديثة؛ حيث قرر فيه أن النظم الدينية والأخلاقية ما هي إلا وسائل بيولوجية للمحافظة على بقاء الكائن الحي، وليس لها حقيقة في ذاتها (بدوي، ١٩٨٤م).

وقد أجاب داروين على من اتهمه بالإلحاد والجزم بإنكار الدين بقوله: "في تذبذباتي الكبرى، لم أصل أبداً إلى الإلحاد بالمعنى الصحيح لهذا اللفظ، أي إنكار وجود الله. لكني أعتقد على وجه العموم -وكلما امتد بي العمر- أن الوصف الأدق لحالتي: (العقلية اللاأدرية)" (بدوي، ١٩٨٤م).

- **برتراند رسل (١٨٧٢-١٩٧٠م)**: فيلسوف إنجليزي من أهم الفلاسفة الارتيابيين، أسهم في فلسفة الرياضيات والمنطق الرياضي (طرابيشي، ٢٠٠٦م).

أطلق على نفسه بأنه (لا أدري) (راسل، ٢٠٠٤م)، و "سُئل راسل ذات مرة في واقعةٍ شهيرة عما عساه أن يفعل إذا اكتشف عند موته أن الله موجود على كلٍّ؛ فرد أنه سيلوم الله؛ لأنه لم يقدم أدلة كافية على وجوده" (جرايلينج، ٢٠١٤م).

ثالثاً: الإلحاد الماركسي:

وهو التيار الإلحادي الذي جعل من محاربة الدين الخطوة الأساسية التي انبنى عليها فكره ، فالدين هو انعكاس للواقع، وأن فكرة (الله) هي ثمرة وضع الناس الموضوعي في المجتمع القديم، وأن الدين يولد بسبب نظريات الإنسان المحدودة عن الكون (بوليترز).

وقد انتقد أتباع هذا التيار الفلسفي الأديان وشنوا عليها حرباً شعواء. وفاقت عداوتهم للأديان كل عداوة "فالإلحاد ليس مظهراً جانبيًّا من الماركسية، مظهراً يمكن للإنسان أن يتبناه أو أن يرفضه، ويبقى مع ذلك ماركسيًّا، إنه عنصر أساسٌ في هذا الاتجاه المادي، بل هو دعامته الأساسية" (بندلي).

- **ويعد كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م) مؤسس هذا الفكر** المادي وفيلسوفه الأعظم (طرابيشي، ٢٠٠٦م، روزنتال، ٢٠٠٦م)، ومع أن فلسفته هي في الأساس نظرية في الاقتصاد السياسي ، إلا أن فلسفته الأساسية هي تأصيل لقضية أن المادي أساس العلمي والفكري، فكل فكرة لا بد أن تكون قد انبنت على

أساس مادي، وهو يفسِّر العالم بناءً على هذا المنطلق المادي، وبقدر ما يرفع الإنسان من شأن الله بقدر ما يحط من شأن نفسه (كولينز، ١٩٩٨م)، فمن هذه القاعدة في الفهم والتفسير نقد ماركس الأديان، وعدَّ الدين من صنيعة الإنسان، فهو "زفرة الإنسان المخلوق المضطَهد، روح عالم لا قلب له، كما أنه روح الظروف الاجتماعية التي طُرد منها الروح، إنه أفيون الشعوب" (ماركس وانجليز ، ١٩٨١م).

وأصبحت هذه المقالة (الدين أفيون الشعوب) هي وسماً يُعرف به الماديون في صراعهم مع أهل الأديان. وتصدر موقف الماركسيين المشهد الإلحادي في عدائهم للأديان، وكان موقفهم منها شديد القتامة.

رابعاً: الاتجاه الإنساني:

هو الاتجاه الذي يجعل من الإنسان مركزاً لكل شيء، ومصدراً للمعرفة، ومعياراً لتقويم الأفكار، ومقياساً لصحتها، فالإنسان هو مقياس لكل الحقائق، ويستبعد أصحاب هذا الاتجاه أي أمر فوق الطبيعة أو خارج الإنسان (لالاند، ٢٠٠٣م).

وتمثلت الأفكار الإنسانية في الاهتمام بالحياة الدنيوية والعمل بدلاً من حياة التأمل والتفكير المجرد، وأكدت على ضرورة التعليم الدنيوي ومركزيته، بعكس ما يسعى إلى تكريسه اللاهوت المسيحي، والتأكيد على قدرة الإنسان في مواجهة القدر، وحريته في تشكيل حياته الخاصة، وتحقيق طموحاته وفق مواهبة دون اعتداد بالفاعلية الإلهية (أحمد،).

ومن أشهر فلاسفة هذا الاتجاه:

- **فيورباخ (١٨٠٤-١٨٧٢م)** وهو من أشهر فلاسفة القرن التاسع عشر، وكان يرى أن مهمته الأساسية هي تأنيس الإله واعتبار الوجود الحقيقي الفعلي صفة للإنسان وحده (كولينز، ١٩٩٨م)، واعتبر أن الإنسان هو الله، أو الله هو الإنسان حين يتحدث عن الله فإنه في الحقيقة يتحدث عن نفسه؛ لأن الآلهة ليست إلا تجسيداً لرغبات الإنسان (فيورباخ، ١٩٩١م).

- **نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠م)** فيلسوف ألماني أثر تأثيراً عميقاً في الفلسفة الأوروبية وآدابها (بدوي، ١٩٨٤م)، ووصل بالنزعة الإنسانية إلى أعلى درجة من الغلو والشطط ، **وقال بأن** "فكرة الله -عز وجل-، لم تعد تمثل القيمة العليا، فلم يعد قابلاً للتصديق، لقد أصبح الله هو إدانة الحياة" (كولينز، ١٩٩٨م).

وكان إلحاده صلفاً صارخاً؛ فأعلن في كتبه مراراً مقالته الإلحادية الشهيرة بـ (موت الإله) قائلاً: "لقد ماتت كل الآلهة، فلم يعد لنا من الأمل إلا ظهور الإنسان المتفوق" (نيتشه ، ٢٠٠٧م).

وقد باتت (النزعة الإنسانية) التي تمجد الإنسان موجودة -بشكل ظاهر- في القرن العشرين عند أتباع **المذهب الوجودي**، يقول عبد الرحمن بدوي (١٩١٧-٢٠٠٢م) في ذلك : "أما المعنى المذهبي فيتردد كثيراً على ألسنة وأقلام المذهب الوجودي، وهو عندهم يختلف اختلافاً ظاهراً عنه عند أصحاب المعنى التاريخي؛ لأنه لا يعتمد على تجربة روحية تاريخية، بل على مذهب قائم برأسه في فهم الوجود على أساس أن مركز المنظور فيه هو الإنسان، وأن الوجود الحق أو الوحيد هو الوجود الإنساني، حتى صارت شارته هي: كل شيء للإنسان، ولا شيء ضد الإنسان، ولا شيء خارج الإنسان" (بدوي، ١٩٨٤م).

- **ويُصنف سارتر (٩٠٥-١٩٨٠م)** بأنه رائد الوجودية، ويُصنف مذهبه بأنه مذهب إنساني، وأن الإنسان هو الخالق الوحيد لقيمه، وأنه لا وجود خارج هذا الزمان لأي خالق أو قيم بخلاف الإنسان وقيمه. فيقول: "إن الوجودية ليست مذهباً يهتم بالسماء، ولا تبحث في الغيبيات، ولا تهتم بالتدين، ولا اعتبار لها بأي ميتافيزيقا، غير إنسانية. والإنسان في الوجود متروك لذاته؛ ليخلق ويحقق بنفسه في عالمه. ويستسيغ ما يستطيع من القيم" (حنفي، ٢٠٠٠م).

خامسًا: المذهب البراغماتي:

هو اتجاه فلسفي حديث ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية، جعل معيار صدق الأقوال هو ما يترتب عليها من نتائج (جيمس، ١٩٦٥م).

فالفكرة تكون صحيحة نافعة إذا ترتب عليها أثر عملي، وإذا لم يترتب عليها عمل ، فهي خاطئة باطلة، فالطريقة البراجماتية هي محاولة تفسير كل فكرة بتتبع واقتفاء آثارها، ونتائجها العملية (جيمس، ١٩٦٥م).

- ويُعد **وليم جيمس** (١٨٤٢-١٩١٠م) - مفكر أمريكا العصري وأحظى كتّابها بالتقدير والإعجاب (طرابيشي، ٢٠٠٦م) - هو المنشيء الحقيقي للمنهج البرجماتي (طرابيشي، ٢٠٠٦م)، وما يتعلق بموقفه من الوجود الإلهي فقد آمن وليم جيمس بوجود الإله، ودعا إليه ورآه صحيحاً وصائباً من الناحية العملية النفعية في الحياة المحسوسة(جيمس، ١٩٦٥م)، "فإذا كان الإيمان بالله -مثلاً- يعطي شخصاً من الشجاعة والثقة ، ويجعله أكثر سعادة وأكثر نفعاً، يكون لديه الحق في أن يؤمن بوجود الله" (رايت، ٢٠١٠م).

ومع ذلك لا "يتصور جيمس (الله) على أنه خارج العالم، أو متعالٍ عليه، بل هو يتصوره على أنه جزء من الكون، أو هو يتحدث عنه كما لو كان الحقيقية المثالية الباطنة في صميم الأشياء" (إبراهيم، ١٩٦٨م). فهو إله مستقلٌ عنّا ، لكننا قد نتعاون معه ونساعده في تنفيذ أغراضه الكثيرة، وذلك عن طريق إخلاصنا في مهامنا المتواضعة (رايت، ٢٠١٠م).

ويرى وليم جيمس أننا نملك إرادة حرة وغير محددة ونستطيع أن نساعد في أن نجعل العالم أحسن وأفضل عن طريق ممارسة اختياراتنا (رايت، ٢٠١٠م).

فموقف المدرسة البرجماتية إذن من الأديان هو عدم إنكارها ومحاربتها بل إبقاؤها وقبولها ، وذلك لا لأنها صحيحة في ذاتها بالضرورة وإنما لمنفعتها وفائدتها في الحياة العملية.

وبذكر المدرسة البرجماتية ، يكون البحث قد عرض للقارئ أبرز التيارات الإلحادية المعاصرة وملامحها وأبرز شخصياتها، وستتطرق الدراسة في الفصل التالي لبيان مفهوم (الإلحاد الجديد) خاصة، وأهم سماته.

المبحث الثالث

معنى الإلحاد الجديد وأبرز ملامحه وسماته

(الإلحاد الجديد): ظاهرة تمثل مجموعة من الملحدين يتسمون بمجموعة سمات مختلفة -إلى حد كبير- عن (الملحدين التقليديين)، وظهرت هذه الظاهرة وترعرعت في مطلع القرن الحادي والعشرين ، وقد عُرِف هذا الاسم ، ووضع له هذا المصطلح (الإلحاد الجديد) في مجلة «شبكة المعلومات الأمريكية الشهيرة "wired"» في عدد نوفمبر ٢٠٠٦م للملحد: (جيري وولف) [١] (العجيري، ١٤٣٥هـ) في مقالة نشرها بعنوان: (كنيسة

(١) يصف نفسه بأنه: (ملحد لا أدري).

غير المؤمنين)، والعنوان الفرعي لها: "فرقة من الأشقياء فكريًا يقيمون حملة ضد الإيمان بالله، هل نجحوا في كسب المتحولين؟ أم اقتصروا على التبشير بين جمهورهم؟".

ويرى كاتب المقال من خلال تحليله لخطاب هؤلاء الملاحدة الجدد أنهم يمثلون كنيسة جديدة لا تقل تعصباً عن الكنيسة الكاثوليكية في مساءلة الناس عن انتمائهم الديني (الشريف، ٢٠١٠م؛ العجيري، ١٤٣٥هـ).

وجاء في وصف أصحاب ظاهرة الإلحاد الجدد أنهم: "في الغالب أصحاب البشرة البيضاء ومن الطبقة المتوسطة، يعيشون بشكل مريح في ضواحٍ موسرة في الدول المتقدمة، ويعملون في المؤسسات والجامعات المرموقة، ويكتبون لصالح مراكز النشر الرئيسة، وكثير منهم أسماء معروفة إعلاميًّا" (سي.جي. ويرليمان، ١٤٤٠هـ).

وقد تميزت ظاهرة الإلحاد الجديد بأنها ظاهرة لها جاذبيتها الخاصة، وهي موجة مختلفة عن الظواهر الإلحادية الأخرى ، وقد اتضح ذلك من خلال رموزها الجدد الذين ظهروا لا كعلماء ومثقفين فقط ، وإنما كنجوم إعلامية وأيقونات تحظى بأعداد غفيرة من المعجبين.

فمن أهم سمات الملاحدة الجدد:

أولاً: حضورهم الإعلامي اللافت: في **عدد من البرامج المتنوعة،** ما بين برامج حوارية وأفلام وثائقية وتعليمية وعدد من المسلسلات الترفيهية شديدة الشهرة والتي تشكل ظاهرة الإلحاد فكرة مركزية فيها (حسن، ١٤٣٧هـ).

ولهؤلاء الملاحدة الجدد **مؤلفات تتصدر قوائم الكتب الأكثر مبيعاً،** كما يحظى مؤلفوها بجوائز متنوعة من مؤسسات معنية بمجال التأليف والكتابة، كما أنها ترجمت إلى لغات عدة، وتجاوز سقف مبيعاتها مئات الآلاف من النسخ بل الملايين أحياناً (العجيري، ١٤٣٥هـ).

ومن بين تلك الكتب التي شكلت قاعدة تأسست عليها ظاهرة الإلحاد الجديد (العجيري، ١٤٣٥هـ):

- **كتاب (نهاية الإيمان) لـ (سام هارس)** [٢] المتخصص في مجال علوم الأعصاب، والذي يعد كتابه هذا كتاب الإلحاد الجديد الأول في نقد الأديان. وقد تصدر كتابه قائمة النيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعاً، واستمر على القائمة مدة ٣٣ أسبوعاً.

- **كتاب (وهم الإله) للبيولوجي الدارويني الشهير (ريتشارد دوكنز)**[٣]، وهو الكتاب الأهم والأشهر للظاهرة الإلحادية الجديدة. وحظي الكتاب بترجمات متعددة، وبيع منه منذ ظهوره سنة ٢٠٠٦م حتى ٢٠١٠م أكثر من مليوني نسخة، وظل على رأس قائمة النيويورك تايمز لأسابيع، وظل على القائمة لمدة ٥١ أسبوعاً.

(٢) عالم الأعصاب الأمريكي يُعد أحد الفرسان الأربعة للإلحاد الجديد، ولد سنة ١٩٦٧م، وهو صاحب كتاب (نهاية الإيمان الدين والإرهاب ومستقبل العقل) الصادر سنة ٢٠٠٤م وحقق مبيعات هائلة. الذي يصف الديانات بأنها "من أشنع أنواع الانحراف الذي يسيء استعمال الذكاء والإدراك الإنساني". انظر: ص٤٠ رحلة عقل، عمرو الشريف، ومقالاً عنوانه: (الإلحاد بين الحقيقة والوهم) (٦) تشارلز دوكينز، و (الفرسان الأربعة: هيستيريا الإلحاد الجديد)، بتاريخ ٢٠١٨/٢/٧م، موقع أمة واحدة على الشبكة العنكبوتية.

(٣) عالم الأحياء التطوري المولود سنة ١٩٤١م، وهو زعيم فرسان الإلحاد الأربعة ، ويعد أعنفهم أيضًا وأكثرهم تهجمًا على الدين والمتدينين، وبخاصة الدين الإسلامي. انظر: مقالاً عنوانه: (الإلحاد بين الحقيقة والوهم) (٦) تشارلز دوكينز، و (الفرسان الأربعة: هيستيريا الإلحاد الجديد)، بتاريخ ٢٠١٨/٢/٧م، موقع أمة واحدة على الشبكة العنكبوتية.

- **كتاب (كسر السحر.. الدين كظاهرة طبيعية) للفيلسوف الأمريكي (دانيل دينت)**[٤]؛ حاول تقديم تفسير مادي لظهور الأديان في الحياة الإنسانية.

- **كتاب (الله.. الفرضية الفاشلة) للفيزيائي الدكتور (فكتور ستنجر)**، ويقدم فيه رؤية إلحادية لسؤال وجود الخالق في ضوء العلوم لطبيعية التجريبية. وظهر على قائمة النيويورك تايمز أيضاً في السنة التي خرج فيها ٢٠٠٧م.

- **كتاب (الله ليس عظيمًا.. كيف يسمم الدين كل شيء!) للصحفي (كريستوفر هيتشنز)** [٥]، ويمثل الكتاب هجوماً شرساً على الأديان في محاولة ربط كل الشرور بها. وتصدر الكتاب في السنة التي خرج فيها ٢٠٠٧م قائمة الكتب الأكثر مبيعاً، وترجم إلى عدد من اللغات المختلفة.

ومن المهم أن نذكر هنا أن عمل هؤلاء الملاحدة مخطط ومنظم ويحظى بدعم ورعاية، فلهم **مؤسسات إلحادية شهيرة ومواقع على الشبكة العنكبوتية** (العجيري، ١٤٣٥هـ).

ومن أهم ملامح الإلحاد الجديد وسماته الظاهرة أيضاً هو ما يبديه معتنقه من ثقة تامة واطمئنان في قرار إلحاده، وفي مسؤوليته تجاه الرسالة التي يحملها للعالم، وفي استعداده التام لأن يخوض أي معركة ضد الدين، فهو في نظر نفسه مخلِّص العالم من الأوهام، وقائد إنساني متفانٍ متأسف على ماضي البشرية وقلق على مستقبلها ومشفق على حاضرها (الشهري، ٢٠١٧م).

ثانيًا: الدور التبشيري الذي يقوم به الملاحدة الجدد:

فالملاحدة الجدد يحاولون التبشير بدينهم الجديد، ووضع طقوس ومراسم عبادية لهم، فقد أسسوا كنائس للملاحدة الجدد، وهناك عشرات التجمعات المسماة بـ (كنائس الإلحاد الكبرى) في الولايات المتحدة الأمريكية (بيرسي، ١٤٤٠هـ)، وأخرى في كندا وبريطانيا وغيرها، وكذلك إقامة احتفالات ومناسبات إلحادية، كعيد ميلاد داروين، ويوم الإلحاد العالمي، بل ويوم الزندقة والكفر والتجديف (العجيري، ١٤٣٥هـ).

ومن العجيب محاولاتهم المستمرة لإشباع الفراغ الروحي بكتب دينية، ككتاب عنوانه: (الكتاب الصغير لروحانية الملحد) (بيرسي، ١٤٤٠هـ)!!

وفي الجيش الأمريكي يطالب الجنود الملحدون بأن يكون لهم من رجالات الإلحاد من يدعمهم معنويًّا كباقي الجنود الآخرين معتنقي الأديان.

والعجيب أن الجماعات الإلحادية في أمريكا تضغط على الجيش للسماح بالتحاق أحد رجالهم، ليخاطب الجنود الملحدين ويصبرهم ويدعمهم لرفع الروح المعنوية!

والسؤال هو: ماذا سيقوله الممثل للإلحاد للجنود ليحثهم على الصبر واستمرارية العمل؟ أيحثهم أنهم ليسوا إلا كائنات تافهة من نتاج الطبيعة المتطورة ، وأنهم لو ماتوا

(٤) فيلسوف أمريكي يُعد أحد الفرسان الأربعة للإلحاد الجديد، ولد سنة ١٩٤٢م، من كتبه: «الكوع»، و«الغرفة»، و«العقل وأنا»، و«أنواع العقول». انظر: مقال عنوانه: (الإلحاد بين الحقيقة والوهم) (٦) تشارلز دوكينز، و(الفرسان الأربعة: هيستيريا الإلحاد الجديد)، بتاريخ ٢٠١٨/٢/٧م، موقع أمة واحدة على الشبكة العنكبوتية.

(٥) هو صحفي بريطاني هاجر إلى الولايات المتحدة وحصل على جنسيتها، يُعد أحد الفرسان الأربعة للإلحاد الجديد، ومات سنة٢٠١١م، عرف بأسلوبه الشرس جدًّا في الهجوم على مخالفيه، وكان يعد داعية الإلحاد الثاني في العالم منذ مطلع القرن الحالي بعد ريتشارد دوكنز ، وشارك في العديد من المناظرات والبرامج التلفزيونية بالإضافة إلى مقالات صحفية وكتب عديدة ألفها. انظر: قطيع القطط الضالة "بين تناقضات دوكينز ومغالطات هيتشينز" ، سامي أحمد زين، ص٣٧.

في سبيل الوطن سيصيرون عدماً وتراباً منسيًّا؟! (حامد، ٢٠١٥م).

ومن الطريف هنا ما حدث لـ (بيكيت)، وهو كاتب قصصي ترك الإلحاد وتحول إلى اللاأدرية، وذكر أن سبب تحوله هو ريتشارد دوكنز نفسه، وتعامله مع الملحدين وكأنه كاهنهم الأعظم ، فأحس أنه عاد إلى الكنيسة التي تركها من قبل، ورأى أن الملحدين يفرضون عليه بغض الأديان، والاعتقاد بضررها الجسيم حتى ولو لم يدرس الأمر، وتعجب من فكرة إلزامه بأن يدعو إلى الإلحاد وكأنه أحد المبشرين بالمسيحية (حامد، ٢٠١٥م).

ولمزيد بيان لهذا الدور التبشيري الذي يقوم به هؤلاء الملاحدة الجدد، نجد أن الملحد (سي.جي.ويليمان) [٦] يعرّف ظاهرة الإلحاد الجديد قائلاً: "في كل مرة أستخدم مصطلح (الإلحاد الجديد) يتم سؤالي: (ما هو الإلحاد الجديد؟)، وما هو (الإلحاد القديم؟)؛ لذا اسمحوا لي أن أوضح: هو الإلحاد التبشيري. نعم، إنه ليس إلحاداً) (سي.جي. ويليمان، ١٤٤٠هـ).

ثالثًا: العدائية للأديان: وهي القضية المركزية والسمة الظاهرة في الخطاب الإلحادي الجديد الذي يرى أن الأديان هي سبب الشرور وسبب كل بلاء وسبب مشكلات العالم.

وذكر الملحد (سي.جي.ويليمان) في تعريفه للإلحاد الجديد بأبسط عبارة: أنه "الاعتقاد بأن الدين هو أصل معظم أو جميع مشاكل العالم، وأنه –بالتالي– عقبة في طريق تحقيق الكمال البشري ويوتوبيا الحضارة الغربية"(سي.جي. ويليمان، ١٤٤٠هـ).

وهذا أمر غريب يجنح بالعقل؛ فكيف يمكن حصر مشاكل العالم في الأديان فقط ؟ وكيف تغافلوا عما جنته الشيوعية الملحدة من حروب راح ضحيتها ملايين البشر.

ويستطرد (سي.جي.ويليمان) قائلاً: "عندما أفكر في ردة فعل ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، تلك الحركة المعادية للدين والتي تسعى بشكل استباقي للقضاء عليه –أينما وُجد–، مع عدم إغفال حقيقة أنها أيديولوجية متطرفة مُركزة على المسلمين. فهجوم الحادي عشر من سبتمبر هو الذي أعطى الإلحاد مسحته الأصولية وعدائيته للإله" (سي.جي. ويليمان، ١٤٤٠هـ).

ولعل عدم حياد هؤلاء وغياب الموضوعية تماماً عن خطاباتهم الانفعالية تتضح من خلال نقلنا عن الملحد (سي.جي.ويليمان) الذي ذكر في كتابه (مهددات الإلحاد الجديد) أنه تلقى اتصالاً هاتفيًّا من الملحد المتعصب (بيتر بوغوسيان) [٧] يسأله إذا كان مهتمًّا بالمشاركة في مشروع مشترك معه، وأنه يقوم ببناء تطبيق (هاتف معاد للدين) لنظام آيوس للأيفون. وعندما سأله عن هدفه من فعل ذلك؟ أخبره بصوت عالٍ: "أريد القضاء على الدين في كل مكان أجده فيه" (سي.جي. ويليمان، ١٤٤٠هـ).

فأي انفعالية وعدائية بعد ذلك أكبر من هذه في تعامل هؤلاء الملاحدة الجدد مع الأديان وأهلها.

(٦) هو مؤلف لا ديني، متحدث وكاتب بصحيفة عين الشرق الأوسط، ومضيف لبرنامج جسم غريب، ومدافع ضد حملات تشويه المسلمين في الخارج. انظر: صفحة الغلاف ، مهددات الإلحاد الجديد (صعود التطرف العلماني)، سي.جي.ويليمان.

(٧) برفسور في جامعة بورلاتلاند ومؤلف الكتاب رقم ١ مبيعاً في جميع كتب الإلحاد عام ٢٠١٤م.

ونقل (سي.جي.ويرليمان) أيضاً عن (دوكينز) قوله[٨]: "يمكن القول أن الإيمان هو أحد الشرور الكبرى في العالم، مشابهًا بذلك فيروس الجدري، لكنه أصعب من ناحية القضاء عليه"(سي.جي. ويرليمان، ١٤٤٠هـ).

ويمكن اعتبار خطاب دوكينز هذا بأنه خطاب عنف بامتياز وتحريض ودعوة للقتل وإعلان الحرب مع المؤمنين ، ولا يخفى على القارئ أيضاً أن سلسلة الأفلام الوثائقية الإلحادية الشهيرة لـ (ريتشارد دوكينز) سُميت بـ (جذور الشر كلها)، ويقصد بهذا الجذر (الدين والإيمان)، وهي موجودة على الشبكة العنكبوتية.

ومن الشخصيات الإلحادية الداعية للعنف أيضاً (سام هارس)، الذي ذكر في إحدى حواراته المنشورة في مجلة (صن) البريطانية: "لو كان بإمكاني الحصول على عصا سحرية، واستطعت القضاء إما على الاغتصاب أو الدين، لما ترددت أبداً في القضاء على الدين"(سي.جي. ويرليمان، ١٤٤٠هـ).

فرؤاهم شديدة القتامة حيال أصحاب الأديان، ولديهم حالة احتقان شديدة ضد جميع الأديان وأصحاب الرؤى الدينية، وخصوصاً الدين الإسلامي .

وقد ذكر (سي.جي.ويرليمان) أن الملحدين الجدد ينوون تدمير الدين تماماً، وينوون تدمير الدين الإسلامي على وجه الخصوص! ونقل (سي.جي. ويرليمان) عن (هيدجيس)[٩]: "إن سياسة الملحدين الجدد –وخاصة هاريس وهيتشيز– تتقاطع مع اليمين المسيحي، يريد اليمين المسيحي قصف المسلمين لاعتقادهم بأنهم شيطانيّون، بينما يريد الملحدون الجدد قصفهم لاعتقادهم بأنهم بربريّون؛ ولذلك فاليمين المسيحي والملحدون الجدد هم نفس الشخصيات التقزيمية والعنصرية ذات الأبعاد الواحدة"(سي.جي. ويرليمان، ١٤٤٠هـ).

وعن موقفهم العدائي تجاه الإسلام خصوصاً ، ذكر (سي.جي.ويرليمان) أنك "إذا طلبت من الملحدين الجدد أن يختاروا أوّل دين سيرغبون في القضاء عليه من على وجه الأرض فسيختارون–دون تردد– الإسلام) (سي.جي. ويرليمان، ١٤٤٠هـ).

ومما يوضح شدة احتقان موقفهم تجاه الإسلام ما نقله (سي.جي.ويرليمان) عن (سام هارس) من قوله في أكثر من مناسبة بأن: "الكثير من المسلمين مختلّون عقليًّا تماماً بسبب معتقداتهم الدينية" (سي.جي. ويرليمان، ١٤٤٠هـ).

وكلام (ريتشارد دوكينز) شديد القتامة في موقفه من الإسلام، حيث يقول: "لم يسبق لي أن قرأت القرآن؛ ولذلك لا يمكنني الاقتباس منه بالجزء والآية كما أفعل مع الكتاب المقدس. ولكن (أنا) دائماً ما أقول إن الإسلام (هو) قوة الشرّ الأعظم" (سي.جي. ويرليمان، ١٤٤٠هـ).

فكيف يصف الإسلام بأنه قوة الشرّ الأعظم، وهو لم يقرأ كتابه التأسيسي الأول؟!

وفي الوقت نفسه نجد أن هؤلاء الملاحدة الجدد مع عدائهم الشديد للإسلام ونقدهم لجميع الأديان يستثنون اليهودية ، وسبب ذلك كما يقول (سي.جي.ويرليمان) : "إن المرء يفقد وظيفته بسرعة بالغة إذا ما قال أي كلمة من الممكن أن يُساء فهمها على أنها معادية للسامية"(سي.جي. ويرليمان، ١٤٤٠هـ).

(٨) خطاب ألقاه في الجمعية الأميركية الإنسانية عام ١٩٩٦م عن خطر الإيدز وغيره من الفيروسات المنتشرة بين البشر.

(٩) كان رئيساً لمكتب الشرق الأوسط لصحيفة نيويورك تايمز لمدة سبعة أعوام.

رابعاً: الإلحاد الجديد والداروينية: للنظرية الداروينية حضور واضح شديد في خطاب الملاحدة الجدد؛ فهي في نظرهم الملاذ الأكثر أمناً لموقفهم المتصلب في مهاجمة الأديان.

يقول الفيلسوف الأمريكي المعاصر (دانيل دانيت): "إن الآباء يجب أن يُمنعوا –على ما يبدو بالإكراه– من إخبار أولادهم معلومات خاطئة عن حقيقة التطور التي هي بالنسبة له واضحة تماماً" (بيهي، ٢٠١٤م). ويشبه (دانيل دانيت) المؤمنين بالأديان –وهم من يمثل٩٠في المائة من سكان العالم– بالحيوانات البرية التي يجب أن توضع في قفص (بيهي، ٢٠١٤م).

وكتب (ريتشارد دوكينز): "إن أي إنسان ينكر التطور هو إما جاهل، غبي، أو مجنون، أو شرير، ولكنني أفضل ألا أفكر كذلك. ولن يتطلب الأمر خطوات كبيرة بين وصف أحد ما بأنه شرير وبين اتخاذ إجراءات فعّالة لوضع نهاية لشرّه" (بيهي، ٢٠١٤م).

هكذا أصبحت النظرية أشبه بمعتقد ديني نضالي يحارب لأجله كل مخالف، إن "الداروينية الجديدة لم تكن نظرية علمية أبداً، بل كانت مبدأً أيديولوجيًّا –إن لم تكن نوعاً من الديانة–؛ ولهذا السبب ظل أنصار نظرية التطور يدافعون عنها على الرغم من كل الأدلة المناقضة لها" (يحيى، ١٩٩٩م).

فالداروينية هي النظرية المسيطرة على المشهد العلمي الغربي اليوم ، مع أن هناك مناقشات علمية ونقوداً عديدة وجهت لها من داخل الوسط العلمي الغربي نفسه، لا يسع المقام لعرضها هنا[١٠].

خامساً: الإلحاد الجديد والإنسان الواهم:

يعتقد الملاحدة الجدد أن الإرادة الإنسانية وهم، وأن تصرف الإنسان في الوجود مجرد وهم ، لا أصل له.

يقول عالم النفس في جامعة كامبريدج (نيكولاس همفري): "يجب أن يكون افتراضنا الأولي كعلماء أنه لا بدّ للوعي أن يكون وهماً في مرحلة ما، والسبب واضح: إن لم يستطع أي شيء في العالم الفيزيائي امتلاك السموات التي تبدو أن الوعي يمتلكها فلا يمكن للوعي أن يوجد كشيء في العالم الفيزيائي"(بيرسي ، ١٤٤٠هـ).

وإذا كان الوعي وهماً فمن أين له هذه الحقيقة ، بمعنى ما هو المستند الذي استند عليه (نيكولاس همفري) في تأسيس القضية هنا؟ .

وكيف يمكننا الثقة فيما يقول إن كان كل شيء هو مجرد وهم لا حقيقة له!.

وكتب (فرانسيس كريك)[١١]: "أنت ، أفراحك وآلامك، ذكرياتك وطموحاتك، إحساسك بالهوية والإرادة الحرة كل ذلك ليس في الحقيقة إلا سلوك مجموعة واسعة من الخلايا العصبية وجزيئاتها الملحقة"(بيرسي ، ١٤٤٠هـ).

وقد ذكر (ريتشارد دوكينز) في كتبه وناقش موضوع الإرادة الحرّة وذكر "أن البشر ما هم إلا (آلات نجاة، رجال آليون مبرمجون بصورة عمياء) من خلال جيناتهم. لذلك من غير المنطقي وضع المسؤولية على أي أحد فيما يقوم به" (بيرسي ، ١٤٤٠هـ).

(١٠) من الكتب التي ترجمت مؤخراً لنقدها:
١- أيقونات التطور علم أم خرافة . جوناثان ويلز.
٢- صندوق داروين الأسود . مايكل بيهي.
٣- خرافة التطور. روبرت جيمس غالغي.
٤- قدر الطبيعة. مايكل دنتون.
٥-شك داروين. ستيفن ماير.

(١١) المشهور بكونه قد حل رموز DNA وأخذ على عاتقه تفنيد وجود الروح أو النفس. انظر: ص١١١ البحث عن الحقيقة.. خمسة مبادئ لكشف الإلحاد والعلمانية، نانسي بيرسي.

فالرؤية المادية التي يريدها هؤلاء هي رؤية تختزل البشر في أنهم مجرد آلات ضخمة مناقضة للطبيعة البشرية؛ لأن الإنسان في ضوء هذه الرؤية يصبح غير مسؤول، ولا ملام على نتائج أفعاله مهما كان قبحها.

إن الإنسان في ضوء هذه الرؤية الكونية أضحى كما يقول (سمسون) التطوري (١٩٠٢-١٩٨٤م): "نتاج عملية مادية لا غاية لها، لم يكن في حسبانها، ولم يُخطط لوجودها، هو حالة من المادة، وصورة من الحياة، وصنف من الحيوان، ونوع من رتبة الرئيسيات" (حامد، ٢٠١٥م).

فالإلحاد الجديد يلغي الغاية من وجود الإنسان ، والهدف من خلقه ويطبع الإنسان مع سائر الموجودات المادية .

سادساً: الاعتداد بالعلوم التجريبية:

إن الملاحدة الجدد ينطلقون في فلسفتهم ونظرتهم للوجود من منطلق مادي محض لا يؤمن إلا بقوانين المادة الصلبة، وما تكشفه علوم الطبيعة التجريبية. ويتم استبعاد كل تفسير ما ورائي متجاوز للطبيعة.

فبات العلم الطبيعي وقضاياه العلمية بمختلف مجالاته وتنوع أبوابه وتشعب مساراته ، يمثل المرتكز الأساسي لظاهرة الإلحاد الجديد ، فالعلم التجريبي هو القادر على الإحاطة بكل الحقائق الكونية وعليه تُأسس وتبنى كل الأنظمة الفلسفية والمعرفية سوآءا كانت اجتماعية أو نفسية أو أخلاقية، وعليه تتشكل الرؤى والمواقف فكل شيء خارج العلم الطبيعي ليس له وجود ولا حقيقة موضوعية بل هو خرافة وجهل.

وقضية حصر المعرفة في العلوم التجريبية قضية لازمت تيارات الإلحاد وشكلت عقليته مبكراً ، منذ لحظة افتتان العقل الغربي بالنظريات العلمية التي خالف بها الكنيسة المسيحية والتصورات الدينية السائدة.

وإن موقف الملاحدة الجدد وتمسكهم بالعلم التجريبي وحصر المعرفة فيه كان أمراً أكثر تصلباً وتأزماً من أسلافهم ، وكما يصف هذا الواقع الفيلسوف (إرنست شوماخر) [١٢] قائلاً: "بعد عدة قرون من الإمبريالية اللاهوتية، عانينا منذ ثلاثة قرون إلى يومنا هذا من إمبريالية علمية هي الأكثر شراسة حتى الآن، والنتيجة درجة من الارتباك والتضليل، على الأخص ضمن فئة الشباب، والذي يمكن في أي لحظة أن يؤدي إلى انهيار حضارتنا" (شوماخر، ١٩٨٩م).

فحالة المغالاة الشديدة في العلوم الطبيعية وعدائية كل ما خالفها في عالم الأفكار، سمة الإلحاد الجديد، فالطبيعة هي الإله والعلم الطبيعي هو كتابه المقدس، الذي تُصدق أخباره، وتُطاع أوامره ، ولا يغادر شيئاً ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه(حامد، ٢٠١٥م).

إن هذا الخطاب الإلحادي الجديد قد بات دعاته أصحاب رؤية كونية شرسة ، في حربهم للدين واستبدالهم العلم به.

وعلى سبيل المثال ننقل هنا ما ذكر في برنامج تلفزيوني[١٣] من سؤال وجّه إلى (ريتشارد دوكينز) يتعلق بطلب له للحديث عن الجانب الإيجابي للدين بدلاً من

(١٢) ولد إرنست شوماخر عام ١٩١١م في ألمانيا ، وتنقل في حياته الفكرية بين الإلحاد واللاأدرية ثم عاد إلى الإيمان بوجود الله، ومات سنة ١٩٧٧م، وألف كتاب (دليل الحائرين) في نقد الحضارة المادية والعلموية. انظر مقال عنوانه: إرنست شوماخر(عندما يفكر الاقتصاديّ في الناس) ، خالد هاشم، بتاريخ ٢٥يونيو٢٠١٦م، على الشبكة العنكبوتية.

(١٣) برنامج عرض على قناة الجزيرة الإنجليزية (رأساً لرأس) أجراه معه مهدي حسن في ٢٠ يوليو ٢٠١٣م، بعنوان: هل الدين خير أم شر؟، نقلاً من كتاب (قطيع القطط الضالة.. بين تناقضات دوكينز ومغالطات هيتشينز) ، سامي أحمد زين.

تركيزه الدائم على الجانب السلبي، فأجاب أنه: لا يأبه كثيراً بأمر الدين سواء بسلبياته أو بإيجابياته، فشغفه فقط بالحقائق العلمية والبحوث والاكتشافات.

فالدين هو أمر مقابل للحقائق العلمية والاكتشافات الحديثة!!

ويقول الداروينى (ريتشارد ليونتن) [١٤]: "إن استعدادنا لقبول المزاعم العلمية المنافرة للبداهة الفطرية هو المفتاح لفهم حقيقة الصراع الدائر بين العلم وما هو فوق طبيعي (غيبي = ميتافيزيقي).

نحن نصطف مع العلم رغم السخافة الصريحة لبعض نماذجه، ورغم إخفاقه في كثير من وعوده الباذخة بشأن الصحة والحياة، ورغم التسامح الذي يبديه المجتمع العلمي تجاه القصص المقررة هكذا بلا أساس، كل ذلك لأن لدينا التزاماً مسبقاً، ألا وهو الالتزام المسبق بالمادية، فليس الأمر راجعاً إلى أن طرائق ومؤسسات العلم تُلجئنا بطريقة ما إلى القبول بالتفسير المادي"(العجيري، ١٤٣٥هـ).

إن هذه الرؤية المادية الصلبة في خطاب الملاحدة الجدد هي رؤية شديدة الدوغمائية ، وسنكتفي في دحضها بنقل بعض أقوال أهل العلم المعاصرين والمتخصصين في دراسة المادة وسبر قضاياها، والتي ظهر من خلال دراساتهم وتبين من خلال تخصصاتهم المختلفة أن هناك أمراً ما آخر خلف الوجود المادي.

يقول (ستيوارت كاوفمان) [١٥]: "في هذا العصر المظفر، عصر علم الأحياء الجزيئي وأول مسودة للجينوم البشري، ربما نكون افترضنا أننا سنعرف الإجابة على سؤال: ما هي الحياة؟ ولكننا لا نعرف الإجابة. نحن نعرف شذرات عن الآلية الجزيئية، وأكثر من ذلك قليلاً عن الدوائر الاستقلابية، ودوائر الشبكات الوراثية، ووسائل التخليق الحيوي للأغشية، ولكن ما يجعل الخلية الحرّة المعيشة حيّة، فهذا ما لا نعرفه" (بروكمان، ٢٠٠٩م).

ويقول (بول كلارنس)[١٦]: "أدرك رجال العلوم أن وسائلهم وإن كانت تستطيع أن تبين لنا بشيء من الدقة والتفصيل كيف تحدث الأشياء، فإنها لا تزال عاجزة كل العجز عن أن تبين لنا لماذا تحدث الأشياء؟!

إن العلم والعقل الإنساني وحدهما لن يستطيعا أن يفسرا لنا لماذا وجدت الذرات والنجوم والكواكب والحياة والإنسان بما أوتي من قدرة رائعة . وبرغم أن العلوم تستطيع أن تقدم لنا نظريات قيمة عن السديم ومولد المجرات والنجوم والذرات وغيرها من العوالم الأخرى، فإنها لا تستطيع أن تبين لنا مصدر المادة والطاقة التي استخدمت في بناء هذا الكون، أو لماذا اتخذ الكون صورته الحالية ونظامه الحالي" (كلوفرمونسيما، ٢٠١٣م).

فهذه الأقوال وغيرها تدلنا على أن أصحاب الوسط العلمي أنفسهم يقفون حائرين من قضية الوجود ويصلون لنقطة لا يمكن أن يجيب عليها العلم المادي .

وقد أكد كثير من الباحثين أن العلم بات يميل في كثير من اكتشافاته في العقود الأخيرة من القرن العشرين لقبول الإيمان بالغيب ، وأن هناك أسراراً كونية يستحيل على العلم بلوغها ، وقد جاء في دائرة المعارف

(١٤) هو عالم البيولوجيا التطوري، وأستاذ علم الجينات في جامعة هارفارد.

(١٥) أستاذ الكيمياء الحيوية المعاصرة في جامعة بنسلفانيا، وهو شريك مؤسس وكبير العلماء في شركة (بيوس جروب) العاملة في مجال تطبيق علم التعقيد على مشكلات إدارة الأعمال. انظر: ص١١٣- ١١٤الخمسون سنة القادمة، جون بروكمان.

(١٦) أستاذ الطبيعة الحيوية المعاصر، حاصل على درجة الدكتوراة من جامعة كاليفورنيا، ومدير قسم النظائر والطاقة الذرية، عضو جمعية الأبحاث النووية والطبيعة النووية. انظر: ص٤١ الله يتجلى في عصر العلم، جون كلوفرمونسيما.

البريطانية: "يميل العلم المعاصر إلى الابتعاد عن مذهبي المادية والميكانيكية والاقتراب من الاعتراف بغير العوامل الميكانيكية في الظواهر الطبيعية، حتى الظواهر الفيزيائية" (فرانك، ٢٠٠٥م).

ويقول (أدوار لوثر كيسيل) [١٧]- العالم المتخصص في علم الحيوان والحشرات-: "أضاف البحث العلمي خلال السنوات الأخيرة أدلة جديدة على وجود الله ، زيادة على الأدلة الفلسفية التقليدية . ونحن لا نقصد من ذلك أن الأدلة الجديدة لازمة أو لا غنى عنها، فقد كان في الإثباتات القديمة ما يكفي لإقناع أي أنسان يستطيع أن ينظر إلى الموضوع نظرة مجردة عن الميل أو التحيز. وأنا -بوصفي ممن يؤمنون بالله- أرحّب بهذه الأدلة الجديدة لسببين؛ فهي أولاً: تزيد معرفتنا بآيات الله وضوحاً. وهي ثانياً: تساعد على كشف الغطاء عن أعين كثير من صرحاء الشكيّين حتى يسلّموا بوجود الله"(كلوفرمونسيما، ٢٠١٣م).

ثم يقول: "ولو أن جميع المشتغلين بالعلوم نظروا إلى ما تعطيهم العلوم من أدلة على وجود الخالق بنفس روح الأمانة والبعد عن التحيز الذي ينظرون به إلى نتائج بحوثهم، ولو أنهم حرروا عقولهم من سلطان التأثر بعواطفهم وانفعالاتهم، فإنهم يسلمون دون شك بوجود الله، وهذا هو الحل الوحيد الذي يفسر الحقائق"(كلوفرمونسيما، ٢٠١٣م).

وأختم هذا المبحث بذكر كلام أستاذ الفلسفة البريطاني (أنتوني فلو)[١٨] الذي عاد إلى الإيمان بوجود الله بعد إلحاده، حيث قال: "إن العلم الحديث يُجلّي خمسة أبعاد تشير إلى الإله الخالق:

أولاً: الكون له بداية ونشأ من العدم.

ثانياً: أن الطبيعة تسير وفق قوانين ثابتة مترابطة.

ثالثاً: نشأة الحياة بكل ما فيها من دقة وغائية من المادة غير الحية.

رابعاً: أن الكون بما فيه من موجودات وقوانين يهيء الظروف المثلى لظهور ومعيشة الإنسان، وهو ما يعرف بالمبدأ البشريAnthropic Principle.

خامساً: أن القدرات العليا للعقل البشري لا يمكن أن تكون نتاجاً مباشراً للنشاط الكهروكيميائي للمخ" (الشريف، ٢٠١٠م).

ثم ذكر أن الإقرار بوجود إله خالق حكيم من خلال العلم الحديث وقوانين الطبيعة، ليس أمراً خاصًّا به وحده، وإنما هو شأن كثير من أساطين الفيزياء الحديثة، ثم ذكر مقالاتهم ومواقفهم الدالة على ذلك (الشريف، ٢٠١٠م).

الخاتمة

الحمد لله ذي الفضل والنعم، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، صاحب الرسالة الخاتمة وصاحب الدين القويم، الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وعلى آله وصحبه البررة ومن تمسك بسنته إلى يوم الدين، أما بعد:

فيمكننا بعد تلك الجولة في أوراق هذه الدراسة أن نشير إلى أهم النتائج، وهي:

(١٧) أستاذ علم الأحياء ورئيس القسم بجامعة سان فرانسيسكو، حاصل على دكتوراة من جامعة كاليفورنيا متخصص في دراسة أجنة الحشرات. انظر: الله يتجلى في عصر العلم، جون كلوفرمونسيما، ص٣٢.

(١٨) ولد سنة ١٩٢٣م، وذاع صيته في مجالات الفكر والفلسفة والإلحاد والتدين، وكان يُعد بحق من أبرز ملاحدة العصر الحديث، وتعدُّ كتاباته الغزيرة جدول أعمال الفكر الإلحادي طوال النصف الثاني من القرن العشرين، وفي ٢٠٠٤م فاجأ العالم بخبر ما زال صداه يتردد في الأوساط الفلسفة والعلمية والثقافية والدينية، لقد أعلن بعد أن بلغ من العمر ثمانين عاماً أنه قد صار يؤمن بأن هناك إلهاً. انظر: رحلة عقل، عمرو الشريف، ص١٣.

- أن مصطلح (الإلحاد) جاء في القرآن الكريم، ويعبر عن مجموعة انحرافات عظيمة، وجميع هذه الانحرافات يجمعها: الميل عن طريق الاستقامة التي رسم القرآن الكريم معالمها وحددها الشارع الحكيم.

- أن المعنى الأشمل الذي يجمع كل معاني الإلحاد: أن (الإلحاد): هو عدم الإيمان بوجود الله وكماله.

- أن الظاهرة الإلحادية في التاريخ ظاهرة قديمة، وقد كان الإلحاد يمثل حالة نشاز في كل مراحل التاريخ البشري القديم، إلى أن ساد وانتشر في عالم الأفكار الغربي، وتضخم حجمه في القرون الحديثة ، وخاصة في القرنين التاسع عشر والعشرين.

- أن أنواع الإلحاد عديدة، كان منها: الدين الربوبي، والشكي الارتيابي، والإلحاد الماركسي، والإلحاد الجديد.

- أن من أهم سمات الملاحدة الجدد: الحضور الإعلامي اللافت، والتبشير بدينهم الجديد، والعدائية للأديان، والتمسك الشديد بالداروينية، والاعتداد بالعلوم التجريبية

وأهم توصيات الدراسة:

- تتبع ونقد الإنتاج الإلحادي المعاصر، فأصحابه يجيدون فن العرض والتغليف ومخاطبة الجيل الجديد بوسائل وأساليب حديثة، ونحن في عصر أفكار تكون الغلبة فيه لمن يحسن الدعاية والإعلان.

- عدم الاستهانة بأفكار الملاحدة الوافدة، ولا بد من الرد على إنتاجهم الفكري بالحجة والبرهان، وبالتحليل والنقد، ولا نكتفي بالإدانة والرفض والتسفيه.

- أن تُوليَ البحوث العقدية الأكاديمية في أقسام الدراسات الاسلامية اهتماما بالغاً بدراسة الواقع المعاصر وما يُطرح فيه من نوازلَ وشبهات فكرية إلى جانب الاهتمام بالبحوث المتعلقة بالتراث، خصوصاً في الجانب المتعلق بدراسة الأفكار الإلحادية التي غالباً ما تصاغ بقوالب جديدة مغرية وجذابة، ويستخدم فيها مغالطات فكرية ممنهجة واستهزاء فج بالأديان مما يؤثر أيما تأثير في المتلقي غير المحصّن بأدوات النقد وآلة التحليل.

والله أعلى وأحكم وأعلم، وصلى الله على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

المراجع

-إبراهيم، زكريا، (١٩٦٨م)، "دراسات في الفلسفة المعاصرة"، مكتبة مصر.

-الأزهري، (١٤٢١هـ)، إشراف مُحَمَّد عوض مرعب، "تهذيب اللغة"، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

-بدوي، عبد الرحمن، (١٤٠٣هـ)، "الإنسانية والوجودية في الفكر العربي"، دار القلم، لبنان، وكالة المطبوعات، الكويت.

-بدوي، عبد الرحمن، (١٩٨٤م)، "موسوعة الفلسفة"، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

-بروكمان، جون، (٢٠٠٩م)، ترجمة: فاطمة غنيم، "الخمسون سنة القادمة"، ط١، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة).

-بندلي، كوستي، "إله الإلحاد المعاصر"، ط١، منشورات النور.

-بوليتزر، جورج، ترجمة: شعبان بركات، "أصول الفلسفة الماركسية"، المكتبة العصرية، بيروت.

-بيرسي، نانسي، (١٤٤٠هـ)، ترجمة: مركز دلائل، إشراف على الترجمة: آلاء حسكي، "البحث عن الحقيقة.. خمسة مبادئ لكشف الإلحاد والعلمانية"، ط١، مركز دلائل، الرياض.

-بيهي، مايكل، (٢٠١٤م)، ترجمة: مؤمن الحسن وآخرين، "صندوق داروين الأسود"، ط١، دار الكاتب للنشر والتوزيع، مصر.

-ابن تيمية، (١٤٠١هـ)، تحقيق: مُحَمَّد رشاد سالم، "درء تعارض العقل والنقل"، ط١، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الرياض.

-جرايلينج، إيه سي، (٢٠١٤م)، ترجمة إيمان جمال الدين الفرماوي، "برتراند راسل: مقدمة قصيرة جدًّا"، ط١، كلمات للنشر والترجمة.

-جيمس، وليم، (١٩٦٥م)، ترجمة: مُحَمَّد علي العريان، "البرجماتية"، ط١، دار النهضة العربية.

-حامد، حسام لدين، (٢٠١٥م)، الإلحاد "وثوقية التوهم وخواء العدم"، ط١، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت.

-حسن، أحمد، (١٤٣٧هـ)، "الميديا والإلحاد"، ط٢، مركز دلائل، الرياض.

-حنفي، عبد المنعم، (٢٠٠٠م)، "المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة"، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة.

-داونز، روبرت، (١٩٧٧م)، ترجمة: أمين سلامة، "كتب غيرت وجه العالم"، الهيئة العامة للكتاب، مصر.

-ديورانت، ول، ترجمة: فتح الله المشعشع، "قصة الفلسفة"، ط٦، مكتبة المعارف، بيروت.

-راسل، برتراند، (١٩٦٠م)، ترجمة: زكي نجيب، "فلسفتي كيف تطورت"، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية.

-راندال، جون هرمان، (١٩٦٥م)، ترجمة:جورج طعمة، مراجعة: برهان دجاني، "تكوين العقل الحديث"، ط٢، دار الثقافة، بيروت.

-رايت، مليم كلي، (٢٠١٠م)، ترجمة: محمود سيد أحمد، "تاريخ الفلسفة الحديثة"، ط١، دار التنوير.

-روزنتال، م، ب.يودين، (٢٠٠٦م)، ترجمة: سمير كرم، مراجعة: صادق جلال العظم ، جورج الطرابيشي، "الموسوعة الفلسفية"، ط٢، دار الطليعة، بيروت.

- روسو، جان جاك، (٢٠١٢م)، ترجمة: عبد الله العروي، "دين الفطرة"، ط١، المركز الثقافي العربي.

-الزرعي، حمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد، (١٣٩٥هـ)، تحقيق : مُحَمَّد حامد الفقي، "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان"، ط٢، دار المعرفة، بيروت.

-زكريا، فؤاد، نيتشه، دار المعارف.

-زين، سامي أحمد، (١٤٣٧هـ)، "قطيع القطط الضالة.. بين تناقضات دوكينز ومغالطات هيتشينز"، ط٢، مركز دلائل، الرياض.

-سترومبرج، رونالد، (١٩٩٤م)، ترجمة : أحمد شلبي، "تاريخ الفكر الأوروبي الحديث"، ط٣، دار النفائس، بيروت.

-سي.جي.ويرليمان، (١٤٤٠هـ)، ترجمة: إدريس محمود نجي، تعليق: رضا زيدان، "مهددات الإلحاد الجديد (صعود التطرف العلماني)"، ط١، مركز دلائل، الرياض.

-الشريف، عمرو، (٢٠١٠م)، "رحلة عقل"، وهو ترجمة كتاب (هناك إله) لأنتوني فلو، ط١، مكتبة الشروق، القاهرة.

-الشهرستاني، الفرد جيوم، (١٩٤٣م)، "نهاية الإقدام في علم الكلام"، لندن.

-الشهري، عبد الله بن سعيد، (٢٠١٧م)، "ثلاث رسائل في الإلحاد والعقل والإيمان"، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت.

-شوماخر، ارنست، (١٩٨٩م)، ترجمة: مركز دلائل، مراجعة وتعليق: عبد الله الشهري، "دليل الحائرين"، مركز دلائل.

-صليبا، جميل، (١٩٩٤م)، "المعجم الفلسفي"، ط١، الشركة العالمية للكتاب.

-الطبري، أبي جعفر مُحَمَّد بن جرير، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، حقيق: محمود مُحَمَّد شاكر، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، دار المعارف، مصر.

-العجيري، عبد الله بن صالح، (١٤٣٥هـ)، "ميليشيا الإلحاد (مدخل لفهم الإلحاد الجديد)"، ط١، مركز تكوين للدراسات والأبحاث.

-العجيري، عبد الله بن صالح، (٢٠١٨م)، "شموع النهار.. إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي"، ط٢، تكوين للدراسات والأبحاث.

-عمارة، مُحَمَّد قدري، (٢٠٠٤م)، "مختارات من أفضل ما كتب برتراند رسل"، ط١، المركز القومي للترجمة.

-عوض، رمسيس، (١٩٩٧م)، "الإلحاد في الغرب"، ط١، دار سينا للنشر، القاهرة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.

-ابن فارس، (١٩٨٩م)، تحقيق: عبد السلام هارون، "معجم مقاييس اللغة"، ط١، دار الجيل، بيروت.

-فرانك، فيليب، (٢٠٠٥م)، ترجمة: علي ناصف، "فلسفة العلم"، ط١، المؤسسة العربية، بيروت.

-فيورباخ، (١٩٩١م)، ترجمة: أحمد عطية، "أصل الدين"، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت.

-كلوفرمونسيما، جون، (٢٠١٣م)، ترجمة: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: د. مُحَمَّد جمال الدين الفندي، "الله يتجلى في عصر العلم"، ط١، دار القلم، لبنان.

-كولينز، جيمس، (١٩٩٨م)، ترجمة : فؤاد كامل، "الله في الفلسفة الحديثة"، ط٣، دار قباء للطباعة.

-لالاند، أندريه، (٢٠٠٣م)، تعريب: خليل أحمد خليل، "موسوعة لالاند الفلسفية"، ط١، منشورات عويدات.

-لينين، "نصوص حول الموقف من الدين".

-ماركس، وانجليز، (١٩٨١م)، ترجمة: ياسين الحافظ، "حول الدين"، ط٢، دار الطليعة.

-ماكوري، جون، (١٩٨٦م)، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، "الوجودية"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

-مجمع اللغة العربية، (١٤٠٢هـ)، "المعجم الفلسفي"، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.

-محمود، زكي نجيب، (١٩٥٨م)، "نحو فلسفة علمية"، ط١، مكتبة الإنجلو المصرية.

-ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم، (٢٠٠٣م)، "لسان العرب"، دار صادر.

-نيتشه، (٢٠٠٧م)، ترجمة: علي مصباح، "هكذا تحدث زرادشت"، ط١، منشورات الجمل .

-وهبة، مراد، (٢٠٠٧م)، "المعجم الفلسفي"، ط٥، دار قباء الحديثة، القاهرة.

- ويلز، هـ. ج، (١٩٦٧م)، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، "معالم تاريخ الإنسانية"، القاهرة.

- يحيى، هارون، (١٩٩٩م)، ترجمة: سليمان بابيارا، "خديعة التطور"، نسخة إلكترونية.

المقالات:

-أحمد، عاطف، (١٩٧٩م)، "التوجه الإنساني تحليل مفهومي"، مجلة النزعة الإنسانية في الفكر العربي، الجزء الثالث، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان.

-تشارلز دوكينز والفرسان الأربعة، "الإلحاد بين الحقيقة والوهم (٦)، هيستيريا الإلحاد الجديد"، بتاريخ ٢٠١٨/٢/٧م، موقع أمة واحدة على الشبكة العنكبوتية.

-هاشم، خالد، (٢٠١٦م)، "إرنست شوماخر (عندما يفكر الاقتصاديّ في الناس)"، بتاريخ ٢٥يونيو٢٠١٦م، على الشبكة العنكبوتية.

Abstract

This study, tagged with the concept of atheism and its contemporary manifestations, aims to explain the concept of atheism in Arabic language and the Holy Quran, and in contemporary thought dictionaries, and shows the introduction of the atheistic phenomenon in human history, and its spread in the modern era in a large and striking way.

The study highlights the statement of contemporary atheism and mentions its most prominent manifestations, with the most important pioneering philosophers of each species.

The study shows the meaning of the new atheism, which is a phenomenon that has its own appeal, and that its new symbols appeared not only as scientists and intellectuals, but as influential stars in the media, it is a different phenomenon from other atheistic phenomena, as the research presented the most important features and characteristics of the owners of this new type of atheism.

One of the most prominent results of the study:

Atheism is a lack of faith in the existence of the Creator and its fullness, and the concept of the term atheism is a set of modern atheistic theories and trends, including the riba-based trend, the skeptical trend, the Marxist trend, the human trend, the pragmatic direction and the new atheism.

One of the most important recommendations of the study:

the fact that academic research in Islamic studies departments should pay close attention to the study of contemporary reality and the intellectual uncertainties and uncertainties in it, as well as interest in heritage-related research, especially in the aspect of the study of atheistic ideas, which are often formulated with new stereotypes. Attractive and attractive, it uses systematic intellectual fallacies and a crude mockery of religions, which has an impact on the recipient who is not immune to the instruments of criticism and analysis.

Key words: Atheism-Currents of atheism-New Atheism\Contemporary Atheism - Types of atheism .